الفصل الأول

الفلسفة والفيلسوف

ويتضمن:

تمهيد

أولاً: الفلسفة.

1- أهمية الفلسفة حضارياً.

2- الفلسفة والعلم.

3- واقع الفلسفة عربياً.

ثانياً: الفيلسوف.

1- الفيلسوف والمجتمع.

2- متطلبات المبدع.

3- النشار وسماته.

«إن الفلسفة وحدها هى التى تميزنا عن الأقوام المتوحشين والهمجيين، و إنما تقاس حضارة الأمة وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها، ولذلك فإن أجل نعمة ينعم بها الله على بلد من البلدان أن يمنحه فلاسفة حقيقيين»[1].

❐❐❐

«لقد عوديت الفلسفة منذ القدم، ولكنها ظلت ملتزمة بالعقل الذى جاءت لتغذيه، فنادت بأعلى صوتها على الإنسانية المعذبة « عليكم أن تسمعوا لعقلاء القوم لا وجهائهم، وظل ذاك النداء مصدراً للعناء على مر التاريخ»[2].

❐❐❐

«إن الفيلسوف المنشود هو القادر على إثارة عقولنا وتفوير أفكارنا وتقويم نقوضنا وتحديث معارفنا وتأصيل أخلاقنا وتمكيننا من الإجابة عن السؤال المطروح دوماً عقب الثورات، من أين نبدأ؟ ولماذا نقرأ؟ وكيف نكتب؟»[3].

❐❐❐

(1) ديكارت، مبادئ التفكير، نقلًا عن د. عبد الغفار مكاوى، لم الفلسفة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981م، صـ91.

(2) د. محمد ممدوح، سقراط اغتيال العقل، المكتبة العصرية، المنصورة، 2015م، صـ157.

(3) د. عصمت نصار، من جوه نبدأ، دار الهداية للنشر والتوزيع، القاهرة 2012م، صـ 309.

«يلمس المطالع لمؤلفات العملاق « مصطفى النشار» أنه مفكر مصرى من طراز فريد، مفكر مهموم دائماً بمشكلات وبلايا وطنه، صابغاً كل ذلك بلون من الولاء والحب لهذا الوطن قلّ أن نجده لدى كثيرين من المتصدرين للمشهد الثقافى والفكرى المعاصر، مفكر شذ عن المألوف، وتحرر من شرنقة النسق، فقُدر له - ربما لهذا السبب وحده - أن ينجح فيما يفشل فيه الناس عادة، حتى من أولئك المثقفين الذين أغرتهم فتن السلطة والحظوة والمال، قاوم التيار، وانسل مبكراً عن كوكبة القطيع والمتلونين، فجمع فى قلبه وعقله بين الحسنيين، مهارة الإدارة وفن التيسير من جهة، وملكة النقد والتنظير من جهة أخرى»[1].

□□□

(1) د.محمود مراد، النشار مشرحاً أوجاع المجتمع المصرى، ضمن كتاب من النقد الفلسفى إلى فلسفة النقد، صـ217.

الفصل الأول

الفلسفة والفيلسوف

تمهيد

الفلسفة مهنة شاقة لأقصى درجة، يكفى أنها زبدة العقل، ويكفى أن حاملها هو حامل هموم مجتمعه وأوجاعه على الدوام، وهو المنبوذ منهم على الدوام إلا فى حالات قليلة لا تغدو سوى استثناءات ضئيلة من قاعدة عريضة، فالنظم السياسية الاستبدادية، والمجتمعات الأمية، والحضارات التى ترتع فى التخلف والتأخر، هى أكبر عوائق أمام حرية الفيلسوف، لكن تلك العقبات لن تدوم طويلاً، إذ ينبعث إيماننا بأن البشرية لابد وأن تتصالح حتماً مع المفكرين والعلماء، طال العمر أم قصر، مثلما حدث مع سقراط وتم تكريمه بعد موته، ومثلما حدث مع جاليليو إذ سُجن حياً وكُرم ميتاً، ويبدو أنها سنة الطبيعة، لنصبح على يقين وطمأنينة حين نقرر أن أصحاب العقول النابهة يرفضهم أبناء جيلهم ويتبنى فكرهم الأجيال اللاحقة.

ورغم هذا العداء للفلسفة وأهلها فى كل عصر إلا أنها فى تطور دائم، والمبدعون فقط هم صناع هذا التطور وهم الأمل فى غدٍ مشرق على البشرية المعذبة، غدٍ يحمل السلام والعدالة والأمن لجميع بنى البشر، ليتوجهوا جميعاً

بالعبادة إلى إله واحد، ورب واحد، سبحانه ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ [قريش: 4].

هذا التطور سنة من سنن الكون، فلو مكثت الفلسفة تدور فى فلك سقراط وأفلاطون وآرسطو لما كان ثمة عصر النهضة بعباقرته وعظمائه، ولما كانت الفلسفة الإسلامية بشموخها وعطاءها وتجديدها لروافد الفكر الإسلامى، ولو ظلت الفلسفة حبيسة هذه الأفكار لما كان ثمة رولز وديوى وعبد الوهاب المسيرى ومصطفى النشار وحسن حنفى وعصمت نصار وغيرهم، ولو توقفت الفلسفة عند هؤلاء لتوقفت الحياة، لأن الفلسفة تعنى الحياة، وانعدام الفلسفة يعنى الموت، إن لم يكن عضوياً، فعلى أقل تقدير إكلينيكياً.

وآن الأوان .. أوان صناعة الفلسفة التى تأتى بمثابة الماء الذى يروى شقاق الأرض الظامئة، ليحيى به بلدة ميتة، ويسقى به أنعاماً وأناسى كثيراً.. نريد الانتقال من مرحلة الفلسفة إلى التفلسف، من الفكر إلى التفكير، من التقليد إلى الإبداع، ذلك أن مجرد قراءة الفلسفة هو ضد الفلسفة ذاتها، لأنها ما قنعت أبداً بالقراءة ولكنها تأبى إلا تعليم التفلسف.

من هنا تشق الفلسفة التطبيقية غبار تلك المعركة، معركة وجود الفلسفة على الأرض لئلا تندثر فى طيات التراث والأوراق التى تناثر عليها التراب وتعاقب عليها الزمن.

لقد آن أوان فلسفة الفعل بانتهاء فلسفة القول، لذا كانت الفلسفة التطبيقية التى كانت النهضة العربية إحدى ثمارها هى البداية نحو تخريج جيل قادر على مواجهة أعباء الحياة ومشكلاتها وفق آليات فكرية غير

نمطيـة، وغير تقليديـة، آليات تخرج من العقل موافقـة للواقع، وليس الواقع هو الذى يفرضها على العقل تحت أى ظرف....

دور الفلسـفة إذن هـو انتشـال البشريـة من تلـك المرحلـة التى ملأتها الشرور وغذتها العنصرية وسـيطرت عليها امبريالية الشر وقوى الطامعين، دورها إعادة البشرية إلى بشريتها، والإنسـانية إلى إنسانيتها، و إعادة الأمور إلى نصابهـا الصحيـح، إلى الفطرة التـى فطرنا الله عليهـا، ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: 138].

ثم يأتى دور الفيلسوف، وهو هنا أحد أبناء العصر المكلوم، أحد أبناء العروبة المخلصـين، الذين يسـعون إلى صناعة نهضـة عربية، ويتوجه إلى بـارئ الكون بالدعـاء على الدوام ألا يقبضه الله حتى يرى تلك الأمة الناهضة، الأمة الواحدة ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 92].

و يأتى هذا الفصل للوقوف بادئاً على دور الفلسفة فى صناعة تلك النهضة ثم يعرج على الفيلسوف مصطفى النشار بين الانكسار والانتصار.

أولاً: الفلسفة

لم يتمكـن الفلاسـفة أو المؤرخين حتـى اليوم من وضـع تعريف محدد وثابت للفلسـفة، لأن التقييد بتعريف للفلسفة هو ذاته ضد الفلسفة يكفى أنها إعمال العقل فى كافة القضايا والمشكلات متعددة النوع والجنس ومختلفة الزمـان والمكان، أو يكفى على حد تعبير طه عبد الرحمن أنها «تقديم حلول غير تقليدية لمشكلات تقليدية»[1].

(1) طه عبد الرحمن، العقل العربى بين العجز والإرادة، دار المثقفون، فاس، المغرب، 1997م - ص12.

هذا التعريف ينقلنا مباشرة إلى الجانب التطبيقى للفلسفة لا النظرى منها، لأنه يقوم على الفعل، على البراجماتية لا المثالية، فتقديم حلول للمشكلات يعكس دور الفلسفة فى المجتمع، أى مجتمع، كى لا يقتصر دور الفلسفة على الحياة النظرية، تلك التى جعلها عبد الغفار مكاوى فوق الحياة ذاتها إذ يقول: « إن حياة التأمل والنظر ليست حياة بشرية خالصة، و إنما هى شىء يسمو فوق البشرية لأن فى الإنسان نفسه شيئاً يفوق الإنسان، بيد أنه ينظر و يتأمل، - أى يتفوق على الإنسان - بما هو إنسان- وبقدر ما تغوص قدماه فى الوحل تكون قدرته على التطلُّع للنجوم، بقدر ما ينغمس فى أعماق الواقع اليومى، بقدر ما يرتفع فوقه ليراه فى كليته، من ثمة هذا الوضع الغريب الفاجع، سقراط يغوص «حافى القدمين» فى حارات أثينا، وفى نفس الوقت يُحلق فوق السحب، يكون فى كل لحظة يتحاور فيها مع الناس فى العالم وخارجه، يسأل عن هذا الشىء أو ذاك، و يسأل فى نفس الوقت عن الكل، يتكلم عن المعرفة والعدالة والفضيلة، و يسعى فى نفس الوقت إلى «ماهية» المعرفة و«جوهر» العدالة و«حقيقة» الفضيلة.. إنه فى كل سؤال فلسفى حقيقى إنما يسأل عن « كل» ما هو موجود، عن ماهيته وحقيقته الأخيرة، إذ ليس سؤالاً فلسفياً ذلك الذى لا ينصَّب على «الكل»[1].

رغم تلك الصبغة النظرية التى يحاول مكاوى إضفائها على «الفعل السقراطى» إلا أنه يمثل قمة الفلسفة التطبيقية و يبرهن على فلسفة الفعل

(1) د. عبد الغفار مكاوى، لم الفلسفة، منشأة المعارف، الأسكندرية، سنة 1981م، ص27.

بامتياز، ولو لم تكن فلسفة سقراط ذات تأثير فعلي وحركي براجماتي، لما انتهى الأمر بالساسة الذين ضاقوا به ذرعاً إلى إعدامه[1].

أياً كان الخلاف، الفلسفة نظرية أم تطبيقية، يكفي أنها الفكر في ثياب العصر، يقول مكاوي: «إن الفلسفة مهما اختلفت تعريفاتها هي في النهاية وعي عصرها أو عصرها معبراً عنه بالأفكار كما يقول هيجل، وهي دائماً في قلب الواقع، والواقع دوماً في قلبها، وإذا كانت علاقة التوتر بينها وبين الواقع لا تبلغ دائماً حد الثورة السافرة عليه، فإن مجرد النظر الكلي الحر إليه، ووضع تصوراته وقيمه ونظمه ومعتقداته السائدة موضع التحليل، إنما يدل على رفض التسليم به تسليماً أعمى، أي يدل على التوتر الدائم بينها وبينه»[2].

ولكن للمرة الثانية يخون التعبير مكاوي، إذ أن العلاقة بين الفلسفة والواقع قد يصل إلى حد الثورة عليه واقتلاعه من جذوره، بل إن الوعي الفلسفي لدى أنصاف المفكرين قد يصنع الثورة، وليس أدل على ذلك من وعي الشباب الذين صنعوا يناير 2011م، ليغيروا واقع مصر، ويصنعوا مستقبلها التليد بإذن الله.

ولكن يبقى التساؤل هل للفلسفة دور في صناعة النهضة العربية؟

والسؤال يتجاوز كل الخلافات الفكرية فلسفياً بين أنصار الفلسفة المثالية، وأصحاب الفلسفة التطبيقية، ليفتح نافذة جديرة نحو الواقع،

(1) محمد ممدوح، سقراط اغتيال العقل، المكتبة العصرية، المنصورة سنة 2014م، ص20 وما بعدها.

(2) د. عبد الغفار مكاوي، المرجع السابق، ص47.

ويوجه الأنظار إلى أخطار جسيمة تواجه أمتنا العربية والإسلامية، ليصبح المجتمعين العربي والإسلامي في حاجة ماسة بحق إلى فلسفة واقعية، وإلى فلاسفة عندهم وعي بضمير الأمة ومتطلباتها، لأن الصراع العالمي صراع أيديولوجي بحد تعبير مصطفى النشار: «إن الفلسفة والتفلسف هو ما يحتاجه المثقف العربي المعاصر حتى يكون على مستوى الوعي بما يجرى حوله في العالم المتقدم، إن الصراع العالمي في جوهره ليس صراع سياسات اقتصادية أو مالية بل هو في الأساس صراع أيديولوجي وفكري وإذا لم يكن الإنسان العربي على وعي بذلك فلا أمل في أن يتبوأ العرب مكانتهم اللائقة بين الأمم!»[1].

بهذا المنطق قد يفهم البعض أن النشار يضع العربة أمام الحصان، ويثبط كل عزيمة للنهضة؟ ولكن هذا فهم المتكاسلين الذين لا يرجون لهذه الأمة أية نهضة، لأنه لا يثبط العزائم بقدر ما يستنهضها من غفلتها، ليقول لها بوضوح: «ما لم نحقق نهضة فكرية، فلن نحقق نهضة علمية واقعية».

وهذا يدفعنا إلى الوقوف عند ثلاث نقاط تنبثق مباشرة عن النص السابق، ممثلة في:

1- أهمية الفلسفة حضارياً.

2- الفلسفة والعلم.

3- واقع الفلسفة عربياً.

(1) د. مصطفى النشار، بين قرنين، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، سنة 2000م، ص79.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

1- **أهمية الفلسفة حضارياً:**

الفلسفة هي عامل الخلود الأول في حضارة أي أمة من الأمم، والدليل الواضح للعيان، أن أبناء القرن الحادي والعشرين الذين صعدوا إلى سطح القمر وصنعوا المعجزات العلمية والمكتشفات التي لا حصر لها، لازالوا حتى اليوم معجبين بسقراط وأفلاطون وآرسطو، أولئك الفلاسفة الذين ولدوا وماتوا قبل إشراق شمس الميلاد على الدنيا، ولا زالت أفكارهم محل دراسة المختصين حتى اليوم، كما أنهم السبب الأول والمباشر في خلود اسم اليونان، وفي رفعة الحضارة اليونانية، تلك التي ارتبطت بأسمائهم.

إذن الفكر الفلسفي يصنع أي حضارة، ويكون دليل خلودها، يقول النشار: «إن الفكر الفلسفي يمثل نقطة البدء في أي حضارة، فلا حضارة بلا رؤية جديدة ومنهج جديد، وصانعوا ذلك هم الفلاسفة، وإذا كانت الفلسفة تضع الحجر الأول في بناء الحضارة الجديدة فإن الجمود والتحجر الفكري يكون بمثابة المسمار الأول في نعش الحضارة، فحينما نتساءل عن أسباب انهيار الحضارة، أي حضارة، ينبغي أن نعود دائماً إلى الجذور الفكرية لذلك، وسنجد أنه نضوب معينها الفكري، فحينما يتحول المفكرون من فلاسفة مبدعين إلى حواريين وشراح وحفاظ ومرددين، ينضب معين التجديد وينعكس ذلك على كل مظاهر الحضارة ورموزها فينضب معين العلماء ويصبح التقدم العلمي بطيئاً في جوهره وإن طفى على السطح أخبار المكتشفات الجديدة والاختراعات الفذة، فإن تلك نواتج النظريات العلمية الأصلية السابقة، كما يتحللون من دينهم وإن

حافظوا على ممارسة شعائره وطقوسه، وتنهار الأخلاق و يتجه الناس نحو المادى واللذى والحسى»[1].

أضف إلى ذلك ما تُكسبه الفلسفة للأفراد الذين هم بُناة تلك الحضارات من قيم لازمة لآليات البناء مثل القدرة على الحوار الإيجابى مع الآخر وقبول الرأى المخالف، والقدرة على النقد وممارسة الإنتقاء، والقدرة على التأثير فى الأخرين عبر سبل الإقناع العقلى[2].

2- الفلسفة والعلم:

لعل التقدم العلمى المذهل فى عصرنا الحاضر قد زاد من أعباء الفلسفة، بحيث تكون العلاقة بين العلم والفلسفة توافقية وليست عكسية بمعنى أن ازدياد تقدم أحدهما يستلزم ازدياد نهضة الآخر، بحيث تزداد أهمية الفلسفة بازدياد سُبل البحث العلمى ودعائم تقدمه، فكلما ازداد البحث العلمى تقدماً كلما ازدادت هموم ومشكلات البشرية، مثل التقدم فى ثورة الجينات والحاسبات، ودور الفلسفة فى إرساء أخلاقيات هذه المهن والفروع الجديدة للعلم، يقول النشار: «إن الفيلسوف هو وحده الذى صار عليه الآن أكثر من أى وقت مضى أن يُعلى من صوت الحكمة والتعقل و يُبصر علماء عصره بخطورة توجههم وبخطورة النتائج التى سيقودون إليها المجتمع الإنسانى بمواصلة الأبحاث العلمية بعيداً عن القيم الأخلاقية والدينية الحاكمة لحياة

(1) د. مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2015م، ص17.

(2) د. مصطفى النشار، ثقافة التقدم وتحديث مصر، الدار المصرية السعودية للنشر، القاهرة، ط1، سنة 2005م، ص22 وما بعدها.

البشر وسنن الوجود الكونى، وربما كان من الضرورى فى عصرنا هذا أن يمد الفلاسفة أبصارهم إلى المستقبل وأن يقرئوا تنبئوات العلماء بصدده ليوضحوا للبشر الصورة القائمة التى ستكون عليها حياتهم بعد أن تتحكم فيها الآلة تماماً وخاصة بعد أن تصبح هذه الآلة خارج السيطرة البشرية وتمتلك القدرة على الفاعلية الذاتية والتحكم الذاتى بدون تدخل البشر»[1].

إن دور الفلسفة إزاء هذا التطور العلمى تحجيمه أخلاقياً بحيث:

أ- إن التقدم العلمى لابد وأن يكون لخير جميع البشر.

ب- إن هذا التقدم التقنى لا ينبغى أن يتعارض مع الحفاظ على إنسانية الإنسان وتنمية قدراته وليس خنقها أو القضاء عليها.

ج- أن ثمة حدوداً يبنغى أن يقف عندها هذا التقدم فلا يتجاوز خطوطاً حمراء وضعها الميراث الإنسانى عامة والأخلاقى والدينى خاصة، فلا يصح أن يكون هذا التقدم التقنى فى صالح فئة معينة من البشر ولا يجوز أن تختلط بسببه الأنساب ولا يصح أن يسمح البشر من خلاله لآخرين سواء كانوا مستنسخين أم كائنات صناعية أن تقوم بدورهم الحيوى فى الحياة.

د- إن الحفاظ على البيئة الطبيعية الملائمة لحياة الإنسان ضرورية مثلما هو ضرورى أن يساعد التقدم العلمى الإنسانى على التكيف مع هذه البيئة بسلام وبدون قهرها أو التعدى عليها.

هـ- إن التقدم فى ميدان الهندسة الوراثية وفى ميدان علوم DNA (الجينوم

(1) د. مصطفى النشار، ثقافة التقدم وتحديث مصر، ص25 - 26.

البـشرى) ينبغى أن يقتصر على معالجة الأمراض والحفاظ على صحة الإنسـان وصحة أعضائـه دون إغـراق فى إعلام الإنسـان بتفاصيل مسـتقبل حياته لما يمثله ذلك من خطر على حيوية الإنسان و إبداعه فى حياته مهما كان قصرها.

و- إن التقدم العلمى ينبغ ألا يسـتغل العلم فى القضاء على عوامل السعادة الطبيعية للإنسان لتسـتبدل بعوامل صناعية أخرى لا تُغنى ولا تُسمن من جوع[1].

دور الفلسـفة إذن يكمـن فى إعـادة التـوازن بين العلـم وثورته الجامحة، والأخـلاق والمبـادئ وقيمهما الراسـخة، وبـدون تدخل الفلسـفة فى العلم ستفسـد الحياة البشرية، ويصبح الإنسان ذاته مهدد الوجود بفعل ما قدمت يداه.

3- واقع الفلسفة عربياً:

يصبح التسـاؤل الأهم الآن، أين يقع دور الفلسفة العربية من الإعراب؟ وهل هناك ما يمكن أن يطلق عليه فلسفة عربية؟

السـؤال الثانى تم حسـمه فى مقدمـة الكتاب، فما كان هـذا الكتاب إلا للبرهنة على وجود فلسـفة عربية، ووجود فلاسفة عرب بمعنى الكلمة، لكن الفلسـفة فى وطننا العربى تواجه محناً متعـددة الهوية، غالبها صُنع صنعاً على أعين الساسـة لإرهاب المفكرين من ناحية، ولإبقـاء تخلف وتراجع الدرس الفلسفى فى مصر من ناحية أخرى.

(1) د. مصطفى النشار، ثقافة التقدم وتحديث مصر، ص26،27.

لكن يبقى الأمل، الأمل عند بعض الفلاسفة العرب بأن الفلسفة تساوى الحياة، هذا الأمل نبض بالحياة عند مصطفى النشار الذى وصل إيمانه بأهمية الفلاسفة لدرجة الإيمان الأفلاطونى بحكم الفلاسفة، ولك أن تقرأ النص التالى للنشار، وتقارن بينه وبين النص الشهير لأفلاطون فى حكم الفلاسفة، لتخرج بنتيجة يطمئن إليها قلبك فى أهمية الفلسفة ودور الفلاسفة عند النشار: «إن الفلاسفة هم دائماً ضمير الأمم والشعوب وهم دعاة الحكمة وأصحاب البصيرة النافذة، وهم عقل البشرية المفكر الذى علينا أن نستمع إلى صوته وقت المحن والأزمات، وليس أفدح مما نتعرض له الآن من محن وأخطار واقعة ومتوقعة، ومن ثمّ فلا ينبغى أن يعلو صوت على صوت هؤلاء الحكماء وخاصة إذا كانت رؤاهم رؤية حق وفلسفتهم دعوة للحياة الكريمة للإنسان أياً كان بعيداً عن غوغائية الزعماء السياسيين وسطوة القادة العسكريين وشرور العلماء المتحللين من كل روابط القيم الأخلاقية والدينية»[1].

الفارق الوحيد بين هذا النص والنص الأفلاطونى، أن النشار لم يفرض الفلاسفة كحكام على الناس، ولكن أفلاطون فرضهم حكاماً، وهذا هو الفارق الكمى، لا النوعى، بين المثالية عند أفلاطون، والواقعية عند النشار.

إيمان عميق بأهمية الفلاسفة عند المفكرين، وإباء لا حدّ له عند السياسيين، هى المفارقة العجيبة بين إرادة التغيير عند الفلاسفة وتغيير الإرادة عند السياسيين، ليظل النضال قائماً ومشتعلاً بين الإرادتين.

لكن ثمة أزمة أخرى تواجهها الفلسفة العربية بعيداً عن السياسة، تلك الأزمة التى تنبعث من داخل الأسرة الفلسفية ذاتها، حيث ضياع الهوية

(1) المصدر السابق، ص29،30.

الفكرية بين أبناء الفلسفة، تلك التى سمَّاها عزت قرنى بمفهوم «الضياع»، إذ يقول: «يمكن أن نوجز وصف الوضع الفلسفى المصرى القائم بكلمة واحدة هى «الضياع» وليس هذا بتعبير أدبى أو انفعالى، و إنما هو وصف موضوعى دقيق، لأن له مضموناً محدداً يتمثل فى شيئين: عدم تحديد الهوية المصرية، وعدم معرفة الأهداف العامة للمجتمع وما ينتج عن ذلك من افتقاد خطة عملية للتحرك القومى، و إذا كان هذان المضمونات عامين ولا يخصان الوضع الفلسفى ذاته وحده، فإن هذا لا يقلل من قوة انطباقهما على الوضع الفلسفى الذى هو جزء من كل، وما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء»[1].

ولعل هذا الكلام يتضمن بعضاً من الموضوعية التى يقدم قرنى براهينها بقوله: «الضياع» على مستوى برامج الفلسفة فى الجامعات، فلنقلها فى وضوح وحسم، إن برامج دراسة الفلسفة فى الجامعات المصرية بغير قيمة كبيرة، لأنها لا تقول شيئاً ينتظره الطالب أو يهتم به، إلا فيما ندر، و يكون ذلك على الرغم من روح تلك البرامج، ذلك أنها موضوعة على النمط الأوروبى، الفرنسى منه بخاصة والإنجليزى، ولذلك فإنها تعبير مجسم عن «الضياع فى الغرب» ومن مظاهر البلاء العظيم أن دراسة ما يسمى «بالفلسفة» الإسلامية ذاتها يوضع من وجهة نظر عربية، ويمثل مكانه ثانوية بالقياس إلى المساحة التى تصول فيها وتجول أفكار وتصورات وأطر تنتمى إلى الفلسفة الغربية».

و يستطرد قرنى متسائلاً: «وبماذا يخرج الطالب من هذه الدراسة، على الأقل فى جانبها التاريخى؟ نحن نقول: بلا شىء يهمه، وبأشياء تزيد

(1) د. عزت قرنى، الفلسفة المصرية شروط التأسيس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1992م، ص34 - 35.

مـن ضياع وجهتـه، فلا هو بقادر على فهم ما يُعرض عليه من نتاج الفلسـفة الغربيـة، وما أقل القادرين على ذلك من بين أعضاء هيئة التدريس أنفسـهم فى أيامنـا هذه، ولا هـو ينجو، من ناحية أخرى، مما يمكن أن نسـميه «بؤس الوعى» وهو ناتج ضرورى عن شـعوره بعدم القدرة على متابعة ما يُقدم إليه على أنه نموذج الأفكار، ومن هنا ينشأ شعور بالنقص»[1].

ولعل هذا يؤكد صحة دعوتى فى مقالات سـابقة منشورة بالوفد والبوابة، لتدريس كتب الفلاسـفة المصريين والعرب داخل أقسام الفلسفة، لأن هذا فى حدّ ذاته سيُشعل المنافسة بين الفلاسفة والمفكرين من ناحية، ومن ناحية أخرى سيكون له أكبر الأثر فى إقامة فلسفة وطنية.

يكمـن الحـل إذن فى نقد الـذات، إذ أن أحفـاد أفلاطون الذى سـعى إلى التمكـين لهم، لم يهتموا هم بهذا التمكين ولم يسـعوا إليـه، وليس هناك من باحـث فى الفلسـفة إلا وهـو أحد ثـلاث، الأول، واهى العزيمـة عازف عن المشاركة ولو بالرأى، إما لعدم امتلاك الفكرة و إما لعدم القدرة على صياغتها حـال امتلاكها، والثانى مقبل على كل ما يسـتطيعه من المشـاركات من باب الوجود والظهور لا من باب القدرة على الإبداع، فيكون وجوده شكلياً أكثر منـه جوهرياً، والثالـث وهو الأقل نوعاً، الذى يشـارك عن وعى وقدرة على الإبداع، وهؤلاء وحدهم هم القادرون على قيادة سفينة التفلسف.

وهـذا مما ينذر بالخطر على مسـتقبل الفلسـفة فى وطننـا العربى وخاصة فى مصر باعتبارها مهد الفلسـفة منذ فجر الضمير الإنسـانى و إشراق شمس العقـل عـلى الكون، خاصة إذا كانت الكارثة إنشـغال أبناء الفلسـفة بأكل

(1) نفسه، ص38.

العيش كما يقول النشـار: «إن جُل المتخصصين مشغولون بأعمال التدريس والإنتدابات وكتابة المذكرات التدريسية توفيراً للحد الأدنى للحياة الكريمة لهـم ولأسرهم لتدنى أوضاعهم المادية عموماً وعدم رعاية الدولة لهم وهذا ما يقلـل فى ذات الوقت أيضاً من إنتاجهم العلمى المتميز نظراً لأنهم لا يقومون بالبحـث العلمى عـادة إلا بغرض التقدم للترقية، وحتـى معظم الأعمال التى يقدمونهـا لذلـك الغرض عبارة عـن أبحـاث أو كتيبات منشـورة فى مطابع خاصة على نفقتهم الخاصة وليسـت فى دور نشر عامـة بحيث يمكن تداولها وتناولها تناولاً نقدياً»[1].

أضـف إلى ذلك ما يعانيه المبدعون الحقيقيون من طمس لهوية أفكارهم عبر ديكتاتوريات اجتماعية أو سياسية معينة، حيث لا يصلح بنات الفكر فى ظل الديكتاتورية أو الاسـتبداد، إذ لا غنى للفيلسوف عن الحرية، يقول قـرنى: «وهـذا كله يـؤدى بنا إلى الربـط الجوهرى بين النشـاط الفلسـفى والحرية، فلا إمكان للفلسفة فى إطار العبودية لسلطة ما أياً كانت، ويُترجم هذا على المسـتوى الشـخصانى بما يسمى باستقلال الفيلسـوف، فالفليسوف «الموظف» أو «الأيديولوجى» أو «المرترق» إن هو إلا فيلسـوف زائف، بل هو فى النهاية عدو الفلسـفة، وليس اسـتقلال الفيلسـوف مؤدياً إلى انفصاله عن المجتمع، بل هو اسـتقلال عن السـلطات القائمة فى المجتمع، ليكون هو نفسه سلطة جديدة، من نوع أعلى، وربما نجح فى التعبير عن القوى الحقيقية فى الثقافـة، تلك التى تتعدى مصالح السـيطرة الاقتصادية والسياسـية بقدر

(1) د. مصطفى النشار، الأورجانون العربى للمستقبل، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، ط1، سنة2014م،ص122.

مـا يمكن ذلـك، لتكون هى «الذات العليا» فى مقابـل «الأنا» الفاعل فى ثنايا الأحداث اليومية»[1].

إن الأعباء التى تواجهها الفلسفة كثيرة، ما بين ذاتية واجتماعية وسياسية واقتصادية، والفكر الفلسـفى هو الترمومتر المعبر عن حضارة ورقى أى أمة مـن الأمم، لذا فالتنبيه الواجب ونحن نريد بناء نهضة عربية واقعية يتلمس الجميع آثارها وينعم الجميع بخيراتها، لابد وأن يركز على النهوض بالفلسـفة كونها صانعة النهضة بالأسـاس، هـذا النهوض يتلخص فى عدم تقييد حرية الفيلسـوف وعدم غض الطرف عنـه اقتصادياً، كما يتطلب من الفيلسـوف ذاته مقداراً كبيراً من الوعى بهموم ومشـكلات أمته، ذاك فقط هو الأمل فى صناعة تلك النهضة المنشودة.

ثانياً: الفيلسوف

ثمة اتفـاق عام جرت خطواته فيما مضى يمكننـا صياغته فى النص التالى: «نعم الفلسفة قادرة على صناعة نهضة عربية حقيقية بذات القدرة على تقديم حلول لكافة المشكلات الأخرى».

دعونا نتفق على صحة هذه المقولة، لننتقل إذن من الفلسفة إلى الفيلسوف، من الفكرة إلى المفكر ذاته، لنقف عند ثلاث محطات رئيسية كالتالى:

1- الفيلسوف والمجتمع.
2- متطلبات المبدع.
3- النشار وسماته.

(1) د. عزت قرنى، الفلسفة المصرية، ص27.

وتفصيل ذلك فيما يلي:

1- **الفيلسوف والمجتمع:**

الفلسفة مرآة واقعها والفيلسوف ابن بيئته والفكر صنيع الأحداث والعصر، هذه حقائق شبه مسلمات لدى المتخصصين فى الفلسفة، فالفيلسوف مشغول على الدوام بقضايا وهموم مجتمعه، ومؤرق على الدوام بأوجاع وطنه، وإن كان هو عند النشار القومية وليس الإقليمية، لذا نجد عند النشار تأكيداً على ذاك الربط بين الفكر والمفكر، بين البيئة والفلسفة فيقول: «إن الفلاسفة أيها السادة قوم أرقتهم دائماً مشكلات عصورهم فحاولوا قدر جهدهم أن يتغلبوا عليها، وأن يقدموا لها الحلول، وإذا ما حدث أن استعصى فهمها على معاصريهم ووقفوا كحجر عثرة أمام تطبيقها أو الاستفادة منها، فإن هذا لا يقلل من قدر الفكرة الفلسفية المطروحة لأنها قد تعلو على العصر أو تسبقه فينتفع بها عصر آخر، فمن أخص خصائص الفكرة الفلسفية أنها فكرة متميزة أصيلة إن ارتبطت فى ظهورها بظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية معينة، فإنها فى ذاتها صالحة للتأمل والمناقشة فى أى زمان وأى مكان، صالحة لأن تكون نبراساً هادياً لمن يعاينها ويهتم بها ويرى فيها ذلك الضوء المرشد الهادى وسط عواصف الحياة»[1].

من تلك العواصف تنبع الفلسفة، ومنها يولد الفيلسوف، وكم كان غضب النشار حين تم وضع دستور 2014 دون وجود فيلسوف بلجنة صياغته، لأن الفيلسوف هو ممثل المجتمع فكرياً، ففى سؤال من محرر جريدة المصرى

(1) د. مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، ص21.

اليـوم للمفكر مصطفى النشـار نصـاً: «ما رأيك فى مخرجات لجنة الخمسـين للدستور»؟؟؟

جاء الرد فى كلمات قواطع: «أهم ملاحظاتى على لجنة الخمسـين أنه ليس بينهم فيلسوف، رغم أن الفلاسفة هم من يضعون ديباجة الدساتير فى العالم، والذى صاغ ميثاق الأمم المتحدة الفلاسفة، والتى جاءت على إثرها كل مواد حقوق الإنسان»[1].

من هذه الناحية يمكننى الوصول إلى نتيجة مؤداها أن: «مصطفى النشـار ابـن لهذه المحن العربيـة التى تمر بها أمتنا، وأن فلسـفته جـاءت وليدة تلك الظروف القاسية رسماً لمعالم طريق النهضة الحقيقية».

فبـدون هـذه الظـروف مـا كانت ثمـة فلسـفة للنهضـة، ولمـا كان ثمة «أورجانـون عربى للمسـتقبل»، ولما كان ثمة «من الثـورة إلى النهضة»، فهى فى مجملها تُمثل فلسـفة واقع منعكسـاً عليها واقع الفلسـفة، والتى نسعى إلى خروجها هى الأخرى من مأزقها لتعبر إلى أفق الإبداع.

2- متطلبات المبدع:

مـن المؤكد أنه لا يباع إبداع معلب، بل لابد مـن صناعة مبدعين حقيقيين يتمتعوا بانتمائهم الإقليمى والقومى على حد سـواء، لأن اسـتيراد التكنولوجيا أيـسر ما يمكن، لكن صناعتها هى مما يتطلب الإبداع الحقيقى الذى يقوم عليه مبدعـون وطنيون مخلصـون، يتمتعون بالصـبر ويتحلون بالقـوة والقدرة على مواجهـة الصعاب فيما أسـماه عزت قـرنى بـ«النفس الطويـل» إذ يقول: «ولا

(1) د. مصطفى النشار، من الثورة إلى النهضة، دار المعارف، القاهرة 2014، صـ53.

إبداع حقيقى إلا فى ظل «النفس الطويل» أى حين يتحول الإبداع إلى مشروع ذى حلقات ومراحل، يكون المبدع خلالها قادراً على مجابهة الصعاب وتحدى العوائق، ممسكاً بالنواجذ طوال الوقت بحبل فكرته الجديدة المتين، لا يسقطه ولا يسهو عنه، و إن بدا عنه فى عين الغريب لاهياً، وبعبارة أخرى فإن الإبداع يشترط فى المبدع نوعاً من الصبر العظيم والمثابرة، فلا إبداع فى ظل «النفس القصير» ولا يدرك الإبداع إلا بالنظر إليه فى خلال «الأمد الطويل» و ينطبق هذا الوصف الإجمالى على حالات الإبداع الحضارى للأمم، وعلى حالات الإبداع الشخصى للأفراد على السواء، إن الإبداع الحق لا يعرف «بيضة الديك»[1].

وكم يتمتع هذا القول بالمصداقية، فالمبدع لابد له من الصبر والمثابرة، أضف إلى ذلك الجدية والوضوح فيما يقول النشار: «إن التفكير العقلى العلمى يتسم بالعمق مع الوضوح، يتصف بالدقة مع سعة الأفق وهو يتطلب أن يتصف الشخص المفكر بالشجاعة الفكرية مع التواضع فى ذات الوقت، يتطلب أن يتصف الشخص بالنزاهة الفكرية مع القدرة على المثابرة ليمكنه من التعامل بجدية مع تعقيدات أى مسألة علمية أو أى مشكلة حياتية يريد حلها، وهو يتطلب كذلك أن يتمتع هذا الشخص بنزعة استقلالية أساسها الثقة فى عقله رغم القدرة على الالتزام بمعايير التعقل الصحيحة»[2].

هذه النزعة الاستقلالية التى يؤكدها النشار صفة ذاتية وليست سياسية، فهى تعنى القدرة على الحيادية الفكرية والاستقلال بالرأى وعدم اتباع

(1) د. عزت قرنى، المرجع السابق، ص23.

(2) د. مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، الدار المصرية السعودية للنشر، القاهرة سنة 2010م، ص22.

الهـوى، وهى غير الحرية السياسـية التى تسـمح بنمو الفلسـفة فى المجتمع أو تحجيمها عن طريق قطع الطريق أمام الفلاسفة والمبدعين.

تُرى، هل تتوافر هذه السـمات فى مفكر هذه الدراسـة؟! وهذا السؤال ينقلنا مباشرة إلى الوقوف على سمات فيلسوف تلك الدراسة.

3- **النشار وسماته:**

يكاد اسم مصطفى النشـار يكون معروفاً فى الأوساط الفكرية العربية والعالميـة، والتزامـاً بالحيادية الفكريـة فلا يمكننى أن أخـوض فى الصفات الشـخصية التى هى أقرب إلى الكمال والجمال والإحسان، ولكن حديثنا هنا يقتصر على الصفات الموضوعية علمياً وفكرياً فقط.

ولد مصطفى النشـار فى الثلاثين من سـبتمبر العام 1963م فى قرية شوبر بمركـز طنطـا بمحافظـة الغربية، وهى إحـدى محافظات دلتـا مصر الخصبة بـالأرض والبشر، وتربى تربية ريفية عنوانها كشـأن الريف العربى الأصالة والاجتهاد والعرق، وهى معانى لم تفارق النشـار طيلـة حياته، رغم مفارقته للقرية منذ سن باكر، حيث الدراسة الجامعية بكلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعـة القاهرة، ليتخـرج ذاك الطالب القادم مـن الريف بأمل وطموحات الاجتهاد الريفى والوصايا الأبوية الحانية والرقيقة من قسم الفلسفة بتقدير ممتاز، وهو التقدير الذى لم يحصل عليه سوى اثنان فقط قبله، وهما الدكتورة/ **أميرة حلمـى مطر**، والكاتـب الراحل/ **أنيـس منصـور**، وكأن القدر يضع مصطفـى النشـار فى محنة كـبرى، إذ يفـرض عليـه الصعـود إلى منزلة أميرة مطر وأنيس منصور، فإما أن يخلّد هذا الاسـم الـذى صنعه بجده واجتهاده و إخلاصه و إما أن يكون مجرد أستاذاً جامعياً موظفاً لا أكثر.

ويـأبى النشـار إلا الطريق الأول، ليواصل جداً بجـد، واجتهاداً باجتهاد ليحصل على درجة الماجستير من ذات الكلية بتقدير ممتاز فى عام 1980م ثم الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى فى عام 1985م، ثم الترقى إلى أن وصل لدرجة أستاذ فى عام 1996م.

تقلد النشـار العديد مـن المناصب الإدارية داخل جامعـة القاهرة، منها عمادة كلية التربية ثم رياض الأطفال وغيرهما، وكذا رئيسـاً لقسـم الفلسفة بأداب القاهرة لأكثر من دورة رئاسية متتاليات ومتفرقات.

هذا على المسـتوى الإدارى، أما على المسـتوى العلمى فقد تعدت مؤلفاته حاجز السـتون مؤلفاً، ما بين الفكر اليونانى ومشكلات المجتمع المصرى ثم مشـكلات القومية العربية، إذ ينبعث فكره من ثلاثـة أطر متوازية، الأول الإطار الإقليمى حيث الميلاد والنشـأة، والثانى الإطار القومى حيث الانتماء والمواطنة، والثالث الإطار الإسلامى حيث العقيدة والفطرة.

وغالبية مؤلفات النشـار لا تفرق بين الثلاثة أطر، فغالباً ما يتحدث عنهم وكأنهم شىء واحد، وهذا ينبع عن الإحساس بالمسئولية والمرونة الفكرية.

4- سمات النشار:

يتمتع مصطفى النشار بعدة سمات فلسفية وفكرية يمكننا الوقوف عليها كالتالى:[1]

(1) هذه السمات اجتهاد شخصى للباحث وقراءة لما بين السطور فى مؤلفات مصطفى النشار ويمكن للقارئ الكريم إضافة أو تعديل ما يشاء، لأننا هنا فى مقام الفلسفة، أى مقام الرأى والرأى الأخر.

أ- المنهجية العلمية:

فى غالبية مؤلفات مصطفى النشار تجد وحدة عضوية ومنهجية علمية فى أى مؤلف منذ الإهداء وحتى الخاتمة، فالبداية من الإهداء والذى غالباً ما يكون موافقاً لموضوع الكتاب.

والبرهنة على ذلك أسهل ما يمكن، فمثلاً كتاب «الأورجانون العربى للمستقبل» والذى كان حافزى الأول على إخراج هذا الكتاب، قد كتبه لعموم العرب واضعاً لهم منهاجاً يسيرون عليه لصناعة نهضة عربية حقيقية، راسماً لطريق التقدم، موضحاً آلياته، فماذا كتب فى إهدائه: «إلى كل مواطن عربى حاكماً كان أو محكوماً ليتحمل الجميع مسئولياته فى صنع مستقبل الوطن، إذ لم نعدُ نملك ترف التردد والتردى فى ظل التحديات المعاصرة»[1].

أليس هذا الإهداء موافقاً لموضوع الكتاب؟ ..

هكذا تسرى الوحدة العضوية فى الكتاب حتى النهاية، حتى آخر حرف فى الخاتمة، وتلك سمة عامة فى كافة مؤلفات النشار، الثورية منها والفلسفية.

ب- النقد:

وهو الصفة المميزة لكافة كتاباته دون الخروج عن النص، فكثيراً ما يوجه النقد إلى كل ما يراه مستحقاً للنقد دون خوف من أحد، ودون عمل أدنى حساب لأى أحد، ولا أدل على ذلك من انتقاده للجنة الخمسين لوضع الدستور، أو نقده لدور جامعة الدول العربية الهش فى خدمة قضايا العروبة أو نقده لمؤتمرات القمة العربية التى تجيد الخطابة وتعجز عن الفعل ....

(1) د. مصطفى النشار، الأورجانون العربى للمستقبل، صفحة الإهداء.

إنـه النقد البنّاء... الذى يبنى، النقد الذى يحرص صاحبه على مواجهة الأخطاء بشـجاعة وصبر منقطعى النظير، يقـول الدكتور محمود مراد ما نصـه: «يلمس المطالـع لمؤلفات العمـلاق «مصطفى النشـار» أنه مفكر مصرى من طراز فريد، مفكر مهموم دائماً بمشكلات وبلايا وطنه، صابغاً كل ذلك بلون من الولاء والحب لهذا الوطن قلّ أن نجده لدى كثيرين من المتصدرين للمشـهد الثقافى والفكرى المعاصر، مفكر شـذ عن المألوف، وتحرر من شرنقة النسق، فقُدر له - ربما لهذا السبب وحده - أن ينجح فيما يفشل فيه الناس عادة، حتى من أولئك المثقفين الذين أغرتهم فتن السلطة والحظوة والمال، قاوم التيار، وانسـل مبكراً عن كوكبة القطيع والمتلونين، فجمع فى قلبه وعقله بين الحسـنيين، مهارة الإدارة وفن التيسـير من جهة، وملكة النقد والتنظير من جهـة أخرى، نراه فى كتاباته ومقالاته مهموماً بأمـراض أمته وناقداً لأحوالها، نقد المحب المتيم بهذه الأمة، المشـتاق إلى نهضتهـا ويقظتها لتزاحم الأمم المتقدمة الأخرى فى سـؤددها، وليس نقد الموتور المعقد الذى لا يرى إلا مواطن الضعف والفسـاد، لا يحابى النشار ولا يداهـن، وفى الوقت نفسـه لا يحبط ولا يُثبـط العزائم والهمم، بل هو ينتقدها راجياً لها أن تعانق أنوار العلم والعقلانية والتحضُر بالصورة التى تستحقها»[1].

إنه النقد الـذى يبنى، نقد المحبين المثقفين الذين يقدمون العلاج والدواء

(1) د. محمود مراد، النشار مشرحاً لأوجاع المجتمع المصرى المعاصر، بحث منشور ضمن كتاب من النقد إلى فلسفة التقد، تصدير د. حسن حنفى، تقديم د. عصمت نصار، تحرير د. محمد ممدوح، دار روافد للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015م، ص217 - 218.

لأمراض الأمة بروح المسئولية ومسئولية المواطنة ومواطنة المخلصين، لا نقد المغرضين الذين يسعون إلى سلطة أو منصب، أو يبحثون عن مجد شخصي، وشتان بين النقدين، وشتان بين الغايتين.

ج- سهولة الأسلوب ومهارة الاختيار:

يتميز أسلوب مصطفى النشار بالروعة اللغوية والأدبية والتسلسل المنطقي بين الأفكار والترابط العجيب بين العناصر كمقدمات ونتائج، فعباراته متسلسلة ومترابطة بحسب تعبير د. عصمت نصار إذ يقول: «ويتميز قلم مصطفى النشار بأنه قلم ناطق فلا نكاد نجد فارق بين مصطفى النشار المتحدث في المحاضرات أو الندوات ومصطفى النشار الكاتب، فعباراته سلسلة مترابطة الحلقات تخلو من التراكيب العويصة والألفاظ الصادمة والمصطلحات الغريبة، ويرجع ذلك بطبيعة الحال لغايته من إرسال الخطاب ألا وهي الإفهام والتواصل مع المستقبل الحاضر دوماً في ذهن الكاتب، فنألفه يشير من حين إلى آخر إلى الرأي المخالف أو ما عساه يدور في ذهن المتلقي من تساؤلات، الأمر الذي يفسر لنا اسهابه في شرح رؤيته وتوضيح مقصده، كما يتسم أسلوبه بالتواضع غير المصطنع»[1].

أيضاً يتسم أسلوب النشار بالتفصيل بعد الإجمال، فالمقدمة تمثل رؤيته المختصرة التي يتناول تفاصيلها عبر المؤلف متتبعاً المشكلات، ومنقباً عن الهموم والأوجاع، ويجمل د. عصمت نصار تلك السمات بقوله: «.. وأول ما يستوقفنا من خطاب مصطفى النشار الفلسفي هو تلك البوابات أو عتبات النص المتمثلة في عناوين كتبه ومقالاته التي اختيرت بدقة وحصافة

(1) من النقد إلى فلسفة النقد، د. عصمت نصار، المقدمة، ص20.

وأناقة، بالإضافة إلى ذوق الفنان وخبرة المثقف الواعى بمدركات المتلقى من جهة والتحولات والمتغيرات والمستحدثات الحياتية فى شتى الأصعدة والنواحى من جهة أخرى، فلا نكاد نلمح من بين عناوين مؤلفاته ما يمكن وصفه بالتقعير أو الغموض أو التخرلق أو التبذل أو التعالى، وكيف لا فعاية المدرسة التى ينتمى إليها هو ترغيب الأذهان فى الإطلاع والمطالعة والفهم والاستيعاب»[1].

د- الاستناد إلى القرآن والسنة:

وهى من أهم خصائص أسلوب النشار إذ كثيراً ما يعرج على القرآن والسنة استشهاداً بهما عند الحديث عن أى قضية ذات مرجعية دينية، ولو استقصينا الأمثلة لخرج الكتاب عن اطاره العام، ولكن لنذكر مثالاً واحداً، فعند حديثه عن التسامح قال: «أما عن التسامح فى الإسلام فحدث ولا حرج حيث الآيات القرآنية واضحة صريحة فى الدعوة إلى هذه القيمة الإسلامية الكبرى ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: 256]، وقد أجمل القرآن ما ينبغى أن تكون عليه العلاقة بين البشر فى قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، وهى الوجه الآخر لقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: 118].

والتسامح فى القرآن الكريم مساو للعفو وقرينه، وقد ذُكرت كلمة العفو فى القرآن خمسة وثلاثين مرة وهى صفة من صفات الله أمر بها نبيه والمؤمنين

(1) المرجع نفسه، ص19.

انظر إلى قوله تعالى عن نفسه ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: 55]، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [المائدة: 95]...»[1].

تلك هى أهم سمات مصطفى النشار الفلسفية، وذاك أسلوبه الفطرى المتسم بالتواضع غير المصطنع والصدق غير المبتذل، والواقعية غير المثبطة، وروعة اختيار الألفاظ.

إجمالاً يمكننا القول بأن الفلسفة هى القادرة على صناعة نهضة عربية حقيقية، تلك النهضة هى التى سطَّرها مصطفى النشار بعبقرية الفيلسوف الشرقى الذى يرتكز إلى قوميته وعقيدته، وينطلق من هموم أمته وعروبته، وينادى بأعلى صوته على عقلاء القوم، أن اتبعوا طريقنا تهتدوا سبيلنا، ذاك هو الطريق بمنتهى الواقعية، وواقع المصداقية، فما هى تلك الخطوات التى رسمها، وما هى الآليات التى اقترحها تلكم هى الفصول القادمة.

(1) د. مصطفى النشار، من الثورة إلى النهضة، ص138، وما بعدها.